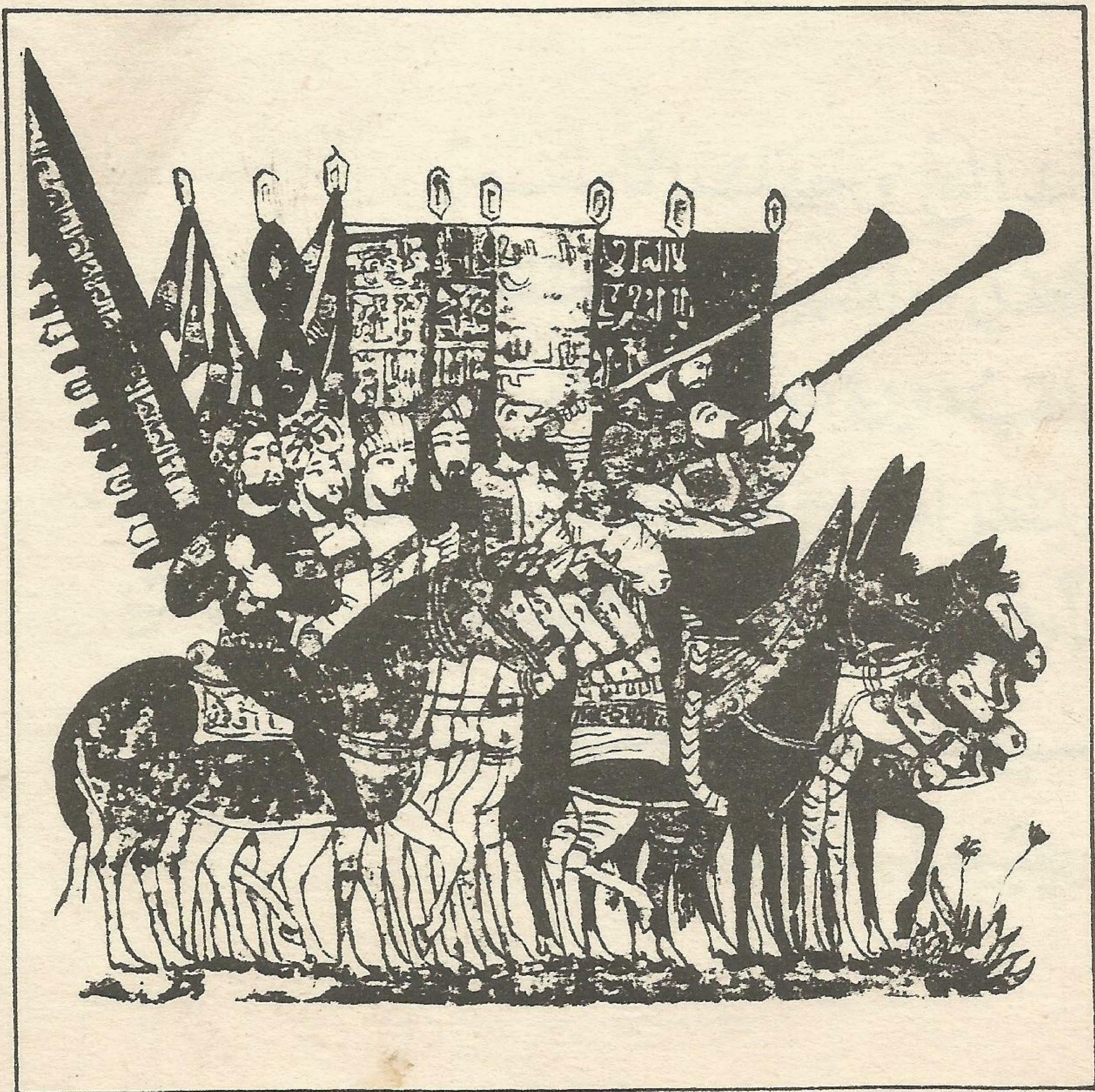


قصائد غير الشخصية

سمير عبد الجافي



فخيل عبر نهر النيل .. لا ير حل

"إلى فلاح مصري تعلم القراءة والكتابة
والحساب إسمه عصمت سيف الدولة"

أطالعُ وجهك الأسمرُ
كظل مواكب التاريخ منتصباً على النهر ...
يراقبُ دورة الحكم والأيام والحجر ...
وينظر امتزاج الرعد بالإنسان والصخر ...
فأوقن أن حزن الشعب كالفيضان ... إن يأت
سيكسرُ حدة الصّمت
ويعبرُ حاجز الموت

ليصرخ في حقول الريح مبتهلاً إلى المطير :
”عبرتُ الجسرَ رغم حصارِ أعدائي ،
وطالتُ سكةُ السِّفرِ...!“

حملتُ إلى ضفافِ النهرِ قصتنا الشتائيَّة ..
أقدّمها لقرصِ الشمسِ قرباناً وأغنيَّة ..
أثنى الريحُ من أقصى صعيدِ القلبِ والوطنِ ..
توكّدتُ أن شرياناً بقلبِ العَصْرِ ينفجرُ ...
ليكتبَ بالدمِ الفقراءُ فوق مقابرِ الكهَّانِ ...
والمملوكِ والوالى ...

ونصفِ القيصِرِ المجنونِ أشعاراً ...
مواويلًا صعيديَّة ...
تقول بصوتها العسلَى للأشجارِ والزمنِ
بأنَّنا في بداياتِ الشتاءِ تواعدنا مع الأيامِ ..
أن نبكى ...

نلَوْنُ من عيونِ الليلِ أزهَّارًا....

إلى الشهداءِ والأطفالِ ...

فلاحِ حقولِ الملحِ والمرضى

وأنا منذُ ذاكَ الحينِ نصنعُ خبزنا ونجوعُ ...

نسوقُ الماءَ نحوَ البحرِ - نحوَ فخادِ الحكامِ ..

موجًا إثرَ موجٍ من دموعٍ ...

ونحفرُ في الحجارةِ والترابِ معابدًا للموتِ ...

نأكلُ من عظامِ السَّابِقينَ ...

ونجدُ الوقتَ - بعضَ الوقتِ كـ نفْجٍ

ونخفي فرحنا عنهم ..

ولا نبدي لهم إلا خاوفنا البدائيَّة ..

لأنَّا غيَّرهم .. أبدًا ..

يمرُّ بنا فراعنةٌ وأيامٌ مرورَ العابرينَ ..

ونحنُ هنا ولم نفنَّ

وحتى الآن ما زلنا على الشطآن ..
رغم توابك المحن ..
نخيلاً أسمر الوجنات منتصباً على النيل ..

فيا طفلاً صعيداً
أتيتك من مجاهل قريتي البحرية الشرفات
كي أشدو ...
على أغصان قريتك التي بقيت على الجدران ..
تقوياً وتعوياً ..

تؤكد أن هذا الشعب ..
ليس الصامت المني فوق نوافذ الزمن ..
ولا ذاك الذي في القبر والتابوت

تشهق فوقه فتيات شكاغو من الوجْدِ
ولا هذا الذي كنا رأيناه...

بظهر السوقِ معروضاً على التجارِ والجنْدِ
ولا المرسوم في الصورِ البريديه

ولكن ذلك الفلاحُ طفلُ الجوعِ والأشْوَاعِ
والغضبِ

يهلّ على خيولِ الليلِ - رعباً للذي يطغى -
فيهِتِك ظُلْمَةٌ اليأسِ ..

وليس بكفه الجرداءِ غير الحلمِ والفأسِ !.

أطالع وجهك الأسمر ..
فأومن أنى للطين - هذا الطين أنسب
وأنى ذلك الطفل الذى سيقوم منفلاً من الرحم
الذى أجذب
تجمع أمه الأشلاء فى ومن ولا تهداً ...
ليبدأ دورة أخرى

مع الفقراء
يشعل ضفة النهار ...

نوفمبر ١٩٧٩

باسمة نزهة فكري حقول الفقرا.

الي نبيل الهلالي
الانسان و الصديق

يحمل الاطفال فرحتهم إلى بابك
ويعلقون قلوبهم وردا على شباك النيلي -
ليرحلون خلفك نحو مصر القادمة...
ويهرول الشعراء نحو الواحة الشعبية
الكلمات في عينيك -

تحميلهم إلى شطآنك الريح الطليقة
.. والقصرائد ..

وأنا أخوض الليل والزمن زانة التمس
وشمت على كتفي منذ وعيت أشواق الحقول..
أشلق الكشبان .. أخترق الحوائط
أستحيل خرائطاً مصرية القسمات
والأنهار والرؤيا ...
أذوب في الفيضان ، في الجذب أصلي
مرسلا صوتي كدقات الطبول ..
أقول:

هذا صاحبي
واليه ألجأ من مخاوف ما سيُطَقُّنِي فسي
وأنا فزجت دماءه ببدني
وسهرت أنتظر انتصار المعدمين
خاب أنظاري مَرَّتَيْنِ ،
وما مللت الصبر

لكني كرهت تعاقب الزمن الكريه الراثه
وسئمت أحزان الرجال المتعابين ...
ولذا مضيت وراء مواكب الأطفال ..
مبتهجاً إلى بابل ..
لا طرّز القلب الذي أضناه جذب الأرض
أغنيةً ومنديلًا وحقلاً من سنابل ..
يعدو به فرحى إليك - وأستريح !

•
رقصت بلا بل قريتي حين أنشبت إلى -
إبسامتك التي عجز الأعادي عن هزيمتها
فظلت تبعث الدفء بساحة الفقر
والمدن الصغيرة ..

وتجمّع الأطفال حولك والنساء الضيقات
الرزق - والعمال في رحيم المصانع - يسألون :
أيّ أحزان دعّتك إلى رغيف الكادحين ..
ونأت بقلبك عن مجاعات الملوك المترفين ..
أيّ أفراح دعّتك إلى القرى عبر الفصول

وَتَوَجَّكَ مَسَافِرًا عِبرَ الحَقِّ - وُلِبِ ..
الصَّارِعَاتِ إِلَى المَوَاسِمِ ..
بِأَرْفِيقِ الشَّمْسِ وَالبَحْرِ وَأَزْهَارِ المِلاحِمِ ..
أَيُّ حُلُمٍ كَانَ يَسْتَهْوِيكَ طِفْلًا ؟ ..
أَيُّ حُلُمٍ كَانَ يُغْرِيكُ بِخَبْرِ السَّجْنِ ..
بِالحَبِّ الَّذِي يَنْسَابُ خَلْفَ النُّهْرِ
نَحْوِ مَنَازِلِ الفُقَرَاءِ ..
وَالزَّمَنِ المَلُوكِ ...
وَالْأَغْصَانِ الْآتِيَاتِ ؟ ..
أَيُّ حُلُمٍ كَانَ يُغْرِيكُ بِجَمْرِ النَّارِ
بِالرَّيحِ العَوَاصِفِ
بِالشَّمْسِ المَحْرِقَاتِ ؟ !

أَيُّ حُلُمٍ كُنْتَ ؟ - لَا أَدْرِي :

وَلَكِنِّي أُوقِنُ :
أَنَّ يَوْمًا قَادِمٌ لَا بُدَّ يَحْمِلُنِي إِلَى الشَّعْبِ
الَّذِي أَعْطَاكَ إِسْمَهُ ..
أُلْقِ عَلَى عَتَبَاتِ بَيْتِكَ كُلِّ مَا يَرْمُقُ قَلْبِي
أَشْكُو إِلَيْهِ - إِلَيْكَ أَحْزَانِي وَبِأُسَى
أَدْعُوكَ أَنْ تَجْلُو أَمَامَ جَحَافِلِ
الْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ شَمْسِي
فَتُحْصِنَ الْأَشْعَارَ مِنْ أَوْهَامِ يَأْسِي ...

أَيْ حَلِمَ أَنْتَ لَا أَدْرِي وَلَكِنِّي مُوقِنٌ
 أَنَّنِي يَوْمًا سَأُخْرَجُ مِنْ ظِلَامِ التَّيِّبِ
 مُهْتَدِيًا بِنَجْمِكَ لِلخَّلَاصِ
 لَأُشَارِكَ الْأَطْفَالَ وَالْعَمَالَ ..
 فَرَحَّتْهُمْ عَلَى بَابِكَ
 وَعَلَى الطَّرِيقِ أَسِيرٌ مَنُتَشِّيًا أُلُوحَ لِلوُجُودِ
 أَفْأَخِرُ الدُّنْيَا
 وَأَذُوبُ فِي الْفَيْضَانِ فِي الْجَدْبِ - أَصْلِي
 مَرْسَلًا صَوْتِي كَدَقَاتِ الطَّبِيبِ
 أَقُولُ هَذَا صَاحِبِي ..
 هَذَا رَفِيقِي ...
 شَارَكَتُهُ الْخَبِيزَ الْفَقِيرَ فَهَانَ جُرْحِي وَالتَّأَمُّ ...
 وَشَكُوتُ مَا أَثْقَلَ قَلْبِي - فَابْتَسَمُ ...
 فَحَمَلْتُ بِسَمَتِهِ إِلَى جَدْبِ الْحَقِّ قَوْلِ ...
 فَأَزْهَرَتْ مِنْ دَفْءِ بِسَمَتِهِ
 الْحَقُّ قَوْلٌ ! ...

هرثية ليست الليكا،

علي زكي مراد

● الموت يوقظ ساحة الفقراء،

هذا شتاءٌ بائسٌ ..
يبدو عليه
مباحه عكرٌ مريّرٌ
ومساؤه بالحزن صار فجيعه
والفرح فيه كنوبه الحى قصيرٌ ...

الموتُ دقّ خيامه في ساحة الفقراء ..
- يا أيها الفقراءُ
هل لي من منازلٍ ؟
إني ملكُ الأرض والدينيا
وفاصلة الكلامُ
ما كنتُ آتى فجأةً
لكنتي كالريج أقبلُ كالوباءُ
كعلامة الحمى التي بقيت بذاكرة
الفراعة الأواخر والأوائل !

الموتُ عَضَّ على سواجده وصاح ..
- هل من مُقاتلٍ ؟
إني رأيتُ رؤوساً في القرى نُضجتُ
آن الحصادُ فهالني منجل الغدر !

الموت أسفر عن هويته سفور القادرين
 وراح يؤغل في التجبني
 ويحط من قدر القرى
 ويشق صف الكادحين
 نشر البنود الزائفات على الصواري
 ومضى يجوس خيال أسواق المدينة
 .. والدروب الجاثقات
 مناخرا بين الجنود ..
 .. هذى تبشير القتال
 وتلك قارعة الوعود !!

أوسوف نمضغ حسرة الموتى
 بباشة الحوارى ؟

ونليت نبث عن تعاويذ
 لتهدئة القلوب
 وصكوك غفران لتبرئة الجنا
 ونفر رعبا من منازل الرعود
 نفر من هول الحياه
 أم سوف نبصر ما وراء مواكب الموتى
 وظل المخبرين
 ونغى بقلب عاشق هم القرى
 وجريمة الحزن المطارد عبر سيناء
 إلى عقر الصعيد ..!

معكم أعيشر لآخر الأنفاس

هذا شتاء بائس -
 عيني عليه

الفرح فيه كلحة الذكرى
كذاكرة الضرب
والحزن يولد جثة الفقراء
أطفالاً كوجه الزمهرير
هذا -

وأنت مضيت تستدعي المطر
ليبارك الفرح المقاتل في الدروب
وأخذت تشعل عند أطراف
المدينة والقري نارا
وتجمع من حقول الكادحين جدود
مازرعوا
وما صنعوا
لصبح شمسهم دفءاً وأغنية
تقود الخلق عبر مائة الليل الكئيب

لكنة العام الرهيب
وأنت قربان إليه

قلبي على أنفاسك الأخيرة
عيني على دقات قلبك الأخيرة
وأنت فوق قمة البداية العسيرة
تحسّ خنجر النهاية
يشق للعدو منفذاً
إلى أضلاعنا الفقيرة .. الفقيرة !

فكرت في أطفالك الأحباب
أم فكرت فينا؟
وذكرت ما قد عودتك عليه
رحلتنا
وأزمتنا سيناً
أم كنت ترحل خلف ذاكرة الوطن
وتلون الدنيا بأفراح صفيره ؟

- هذي المدينة تنكر الأبناء
لكن لست أكرمها
وإن عانيت حيناً
أحببتهم أبداً ..
وكان البعض يكرهني ...

ولكني
أسامح
إن تمد أيديهم لأيدينا
أو هذه الأشجار أذكرها ؟
أظن !!
تنشأ به الأشجار في كل الأغصان
من واحة المنفى
إلى الجرن الذي
مارحت فيه الناس بالحب الذي
أثقل قلبي
وأنا .. بعد ...
صغير !!

آه .. آه ..

هنالك طفلة غبر الطريق
وطفلة بالبيت
والجرح ما زال بسيطاً ..
ولكم وددت من زمان أن أكون
شاعراً
ذويت نفسي في مياها النيل
عاشقاً .. وساحراً

شككت من طين الحقول عراشاً
خمريّة الملامح
ثم انطلقت في حدائق الزمان وللكان
طافراً مهاجراً

وكان قول الشعر في حبك يا مصر
جريمة
فغزلت من قضبان سجن
ما وعدتك من قصائد
وعبرت نخول كل تلك البيد
أروي غلة للحب صادية

لكنني أبصرت نهرك في يد الأعداء
مرتقش الضئاف
مكبل الكفنيين
معتكر الوجوه

وكان أسلم أن أعود
أكان أسلم أن أعود؟
حقيقة ؟
لكنني حملت بالأمل الشقي فراكبي
حملتها أمنية مصرية الدماء
والجوانح
وخلقت منها أحرفاً عربية الكلمات
لها رنين الطبل في الفرج الفقيرو

خوضت في جاهل للدائن المجردة
طرفت فوق صلب أضلع المصانع
وللزارع ...
بالأغصان المجهولة
حدثتها عن كل ما أثقل عُمري
حدثتني عن متاع عيها
وأصبحتنا أحببه .

هذه العريبات تُرهقني
وتسلبني دمي

ما أجمل الأزهار حتى في المقابر

أي حزن يسوف أتركه ورأى...

أنا ما أنكرت هويتي أبداً
ولا أنكرت ديني ..
وزدعت في كل الحقول يشاريحاً
وقرأت فوق مقابر التاريخ أنشيداً
ودخلت مدائن اليأس المدجج بالسلاح
تزهو بي كتي ..

رابعة حمراء

واضحة المعالم واللامح
لا تنكسها ريح

وَلَقَدْ هَزَمْتُ لِلْعِظَةِ وَيْلَتُ مَرَّةً
وَتَخَلَّفَ الْأَصْحَابُ عَنِّي ذَاتَ يَوْمٍ
حِينَ كَانَ الْمَوْتُ يَرْمِي دُنِي
وَلَكِنِّي نَجَوْتُ
كَسَّرَ الْأَعْدَاءُ سَيْفِي مَرَّتَيْنِ
وَمَا كَبَوْتُ
وَرَجَّ بَعْضُ النَّاسِ يَبْتَكَرُونَ
أَعْدَاءًا لَتَنْكِيهِ الرَّمَا حِ
وَقَدْ غَفَوْتُ .

ومطال ليل اليأس
 لكنتى عبرت
 غامت حوافر خيلى الحمقاء فى
 الرمل المِراوغ
 فارتعيت
 لكنتى رغم التباعد والمجاهدة العقيمة والعطش
 لوحت نحو الشمس
 فأنهيت إلى ظلى القوافل
 ما زلت حتى الآن رغم اللوت
 أقبل
 فانظرونى ...
 شامخاً أقبل من كل الداخل -
 أنظرونى ..

إن هاجرت خوف المواجهة البلابل
 إننى أبداً أعوذ ولأما جبر ..
 فاعذرونى ..

إن لي تحت مياه النهار
 داراً ...
 ونخيلاً ...
 وبيادر ...

• أبريم مازالت هناك علي انتظار

أبريم
ترقد تحت موج النهر من زمن
وتنظر انفجار الغيب
بالوعد
الذي عاشت له
عبر المواسم والفصول
كانت تؤدع كل حين طفلة أو أمية
للبحر ترسلها
وتحلم بالسنين الآتية
من العصور الغافية
ونظف فوق شواطئ عمرها الأزل
تنظر الطيور النائية
ترنو إلى سحب الشمال القادمة من الغياض
ياجنون الانتظار
وسائل الرمل الذي يمتد عبر العمر
كالقدر المهيول
عما ستكشف الحقول
وما سيرسله المطر ..

وَسَائِلُ الْأَيَّامِ عَاسُوفٌ تَحْمِيلُهُ
الْمَرَاكِبُ لِلَّذِينَ تَمَزَّقُوا
تَحْتَ الْحِصَارِ ..

يَا أَيُّهَا الزَّمَنُ اللَّعِينُ
خَذَلْتَنِي

لِمَ دُونَ كُلِّ الْخَلْقِ طُفْلِي لَا يَعُودُ ؟
لِمَ فُجَاءَةً وَجَمِيعَ أَفْرَاحِ الْقُرَى
كَانَتْ بِهِ أَبَدًا رَهْنِيهِ ؟
أَنَا مَا وَثَّقْتُ بِوَعْدِ أَوْلَادِ الزَّوَالِي -
لَا .. وَلَدَانَتْ قِرَايَ

لَجَنَدِهِمْ عِبْرَ الْعُصُورِ
مَا كَانَ وَالِ يُسْتَطِيعُ خَدِيعَتِي أَبَدًا -
وَلَا كَانَ الزَّمَانُ بِحُلُومِهِ وَمَرَارِهِ
يَوْمًا سَيَسْمَعُ أَمْرِي ..
لَوْلَا فِرَاقُكَ يَا بَنِيَّ

فَأَنَا وَعَدْتُكَ أَنْتَ بِالْحُزَنِ الْخَفِيِّ
وَعَدْتَ قَلْبِيكَ بِالْهُوَى
وَأَنَا إِلَيْكَ لَجَأْتُ حِينَ انْتَابَنِي الْخَوْفُ الْعَقِي
وَتَخَطَفْتَ أَحْلَامَ طِفْلَتِنَا
تَهَاوَيْلُ الظَّلَامِ
بَارَكْتَ خَطْوَكَ لِلشَّمَالِ ...
وَقُلْتَ هَذَا طَائِرِي .

أُرْسَلْتُ لِلْبَحْرِ كَيْ يَأْتِيَ لَنَا
بِجَرَائِدِ الْأَطْفَالِ وَالْخُبْزِ الْعَصِيِّ
وَوَثَّقْتَ أَنْكَ عَائِدَةً
لَا بَدَّ بِالْأَلْقَى الَّذِي ..
يُخَفِّدُ هَذَا الْجَدْبُ عَنَّا
أَرْضَعْتَ أَطْفَالِي أَنْظَارًا
وَأَغْنَانِي وَمَنَّا

فَارْجِعْ إِلَيَّ فَإِنَّ مَسْبَرَكَ قَاتِلِي
مَا عَادَ يُسْعِفُنِي الشَّأْنِي
فَأَنَا عَجُوزٌ هَذِي التَّرَحُّالُ
مِنْ أَرْضِ الْأَرْضِ

أدست كفؤي منه الحِقْبُ البَخِيلُ
وتكاثر الأعداء حول النخلة التي خبزت رغي
هذي أضأفرهم على جلدي
وهذي نارهم في عقر داري ..
الموت حالفهم وخالفني وليني
ومضيت أنت كبارق الحلم الرهيف
أنت الذي حملت ضيقاً فُ النهر جثته
ربيعاً في الخريف !

١٩٧٩/١٤/٣.

لَفَاق ٧٩

صدر منها :

العرى قصة جمال الغيطاني

هو : مسرحية مصطفى أبو النصر

حكاية بسيطة : قصة سلوى بكر

لعبة خلع الثياب مسرحية تأليف مور وجيك ترجمة ابراهيم فتحى

المصالحة قصة سهام بهوس

الراقص قصة شمس الدين موسى

تعاثل الخدم - دراسة - عادل السهوى

نوبة حراسه قصة جمال الغيطاني

المتفائل مسرحية على سالم

الحدائق المغلقة - الصوت الآخر مسرحيتان تأليف مصطفى أبو النصر

رباب تمتازل الرسم قصة محمد يوسف القعيد

الخصبة والجدة قصة : سلوى بكر مقدمة : ابراهيم فتحى

لوحة الغلاف : من كتاب مقامات الحريري للفنان يحيى الواسطي
خطوط : حامد العويضي